

موضوعات الأدب الإسلامي في الأعمال الأدبية



عند الشاعر يوسف العظم

[The Topics of Islamic Literature in the Literary
Works of Yūsuf al-‘Az̧m]

Nur Farhana Mohamad Zainol¹, Rahmah Ahmad H. Osman ^{1*}, & Sarah Abdel Nasser Saeed²

¹ Department of Arabic Language and Literature, AbdulHamid AbuSulayman Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia IIUM, MALAYSIA.

² Dahshour Primary School, El Badrashin, Giza, EGYPT.

* Corresponding Author: Prof. Dr. Rahmah Ahmad H. Osman. Department of Arabic Language and Literature, AbdulHamid AbuSulayman Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia IIUM, Malaysia.  rahmahao@iium.edu.my.  (+60) 112-623 7703. ORCID iD: <https://orcid.org/0000-0003-2686-0036>.

الكلمات الرئيسية:	الملخص
موضوعات الأدب الإسلامي، موضوعات الأدب الإسلامي، يوسف العظم، شاعر الأقصى.	تناولت هذه الدراسة موضوعات الأدب الإسلامي في عصر صدر الإسلام وفي العصر المعاصر، كما تناولت الموضوعات الإسلامية في بعض الأعمال الأدبية للشاعر يوسف العظم، وهذه الأعمال موجودة في بعض دواوينه، وهي: "أناشيد وأغاريد للجيل المسلم"، و"عرائس الضياء"، و"في رحاب الأقصى"، وكذلك "قناديل في عتمة الضحى". اعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك عن طريق قراءة ودراسة عشر نصوص الأدبية عند يوسف العظم من أناشيد وأشعار التي تم اختارها الباحثون، وهي أناشيد بعنوان: "الوضوء"، و"الزكاة"، و"أمي؟"، و"الله ربي"، و"الكعبة"، أما أشعار فهي بعنوان: "نشيد للمجاهدين في أفغانستان"، و"أنا للقدس"، و"حماة الأقصى"، و"يا قدس"، و"هوية الأقصى لمن أضع هويته" ومن ثم قام الباحثون بتحليل المضامين في كل من هذه النصوص الأدبية، تحليلاً وصفيًا تركيزًا على إطار البعد الديني الإسلامي. استنتجت الدراسة بأن يوسف العظم شاعر ملتزم بالتصور الإسلامي، وأن له موضوعات متنوعة في أعماله الفنية، لا تنحصر على موضوع العبادة والعقيدة فحسب، وإنما تمتد إلى موضوع قضايا الأمة الإسلامية كذلك مثل القضية الفلسطينية.

Keywords:

Islamic Literature, Topics of Islamic Literature, Yūsuf al-'Aẓm, the Poet of al-Aqṣā.

ABSTRACT

This research explores Islamic themes in early and contemporary Islamic literature, with a focus on the works of poet Yūsuf al-'Aẓm. It examines his anthologies *Anāshid wa Aghārīd li al-Jayl al-Muslim*, *'Arā'is al-Ḍiyā'*, *Fī Riḥāb al-Aqṣā*, and *Qanādil fī 'Itmat al-Ḍuḥā*, alongside ten specific texts: *al-Wuḍū'*, *al-Zakāt*, *Ummī*, *Allāhu Rabbī*, *al-Ka'bah*, *Nashīd li al-Mujāhidīn fī Afghānistān*, *Anā li al-Quds*, *Hamāt al-Aqṣā*, *Yā Quds*, and *Huwiyyatu al-Aqṣā li man Aḏā'a Huwiyyatuhu*. Using an analytical descriptive methodology, the study delves into al-'Aẓm's treatment of Islamic content, extending beyond ritualistic themes (*ibādah*) to encompass doctrinal aspects (*aqidah*) and broader Islamic community issues, including the Palestinian cause. The study underscores al-'Aẓm's commitment to Islamic perspectives in his literary creations, highlighting his diverse thematic engagements within Islamic literature.

ARTICLE HISTORY

Received: June 13, 2023

Accepted: December 04, 2023

Online Published: December 29, 2023

This is an open access article under the CC BY-NC license.



To cite this article:

Mohamad Zainol, N. F., Ahmad H. Osman, R., & Abdel Nasser Saeed, S. (2023). The topics of Islamic literature in the literary works of Yūsuf al-'Aẓm. *Al-Irsyad: Journal of Islamic and Contemporary Issues*, 8(2), 1205-1222. <https://doi.org/10.53840/alirsyad.v8i2.385>

١. المقدمة

معنا وتعرفنا على كل ألوان وأقسام الشعر، إلا قسمًا واحدًا يُعرف بالشعر الإسلامي المعاصر، فحين يذكره أحد، فإنه يذكره على استحياءٍ ويشير إليه إشارة خاطفةً، ثم يتم التأكيد على أن الشعر الإسلامي هو الذي يتعلق بشعر المناسبات الإسلامية مثل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، والإسراء والمعراج، وهجرة النبي إلى المدينة وما شابه ذلك، ما يجعله ضيقًا ومحدودًا (al-Jada', 1988). لكن الحقيقة أن الشعر الإسلامي، أو الأدب الإسلامي ليس منحصرًا على موضوع المناسبات الإسلامية فحسب، بل إنه أوسع وأشمل من ذلك، لكونه: "تعبير جميل عن حقائق التصور الإسلامي من كون وحياة وإنسان، وقيم ومثل، وغاية ووجود، تتسع موضوعاته لقضايا الحياة والوجود كافة، وله في كل رؤية أدبية متميزة ووجهة نظر، يجلو ذلك، على مستوى رفيع، إبداع الأديب المسلم في أصالة ومعاناة" (al-Hāshimī, 1987: p. 37)، ولأن الأدب الإسلامي: "ليس هو الفن الذي يتحدث عن حقائق العقيدة بلورة في صورة فلسفية، ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات. وإنما هو شيء أشمل من ذلك وأوسع. إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود" (Quṭb, 1983: p. 119).

فليس الأدب الإسلامي، أو الشعر الإسلامي، أو الفن الإسلامي الذي يتحدث عن الأمور الدينية والعبادات اليومية فقط كالصلاة مثلاً كما أكدّه هؤلاء، ولكنه يشتمل على كل قضية من قضايا الحياة الإنسانية، ويعالجها من زاوية التصور الإسلامي، وذلك عن طريق الإبداع الفني الجذاب، فموضوع الأمة الإسلامية أدب إسلامي، والشوق والحنين إلى الوطن أدب إسلامي، وصف الحب للأمة أدب إسلامي أيضاً، وكل قضية يعالجها الأديب وفق التوجه الإسلامي فهو أدب إسلامي.

وهذه الإشارة التي تحدّث عنها هؤلاء تعد دليلاً على أن نظرية الأدب الإسلامي لا تزال في مستوى غير معروف وغير مفهوم، مع قلة اهتمام المجالات بأدبائه، والتي كانت تهتم بالأدب المنحرف والشعر الرديء بشكل أكثر (al-Jada' & Jarār, 1983)، بل تم إبعاد هؤلاء الأدباء المسلمين وأغفلوا عن التقويم (al-Qaysī, 1984)، ولم يتم الكشف عن أعمالهم الفنية بشكل يليق بهم (Barakāt, 2007). وهذه المشكلة لا بد من الإحاطة بحلولها حتى يصير الأدب الإسلامي معروفاً لدى المجتمعات حول العالم وحتى تكون نصوص الأدب الإسلامي الخيار الأول للقراءة لدى المجتمع. علاوة على ذلك، فإن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن تتعرف على الذين ساهموا في نشر الشعائر الإسلامية، والقصص الإسلامية، والمقالات الإسلامية، والخواطر الإسلامية، والنقد الإسلامي داخل مجتمعاتها، كما تحتاج إلى تمثيل إسلامي (Katānah, 1987)، لهذا نرى أهمية عرض نصوص الأدب الإسلامي من خلال التحليل والتوضيح، وانطلاقاً من هذا المبدأ، تعد هذه الدراسة محاولة لإبراز أحد الشعراء المسلمين المعاصرين، وقد اخترنا الشاعر يوسف العظم، نظراً لأن يوسف العظم كان من «أعلام الشعر الإسلامي» وأحد أصحاب «أبرز دواوين الشعر الإسلامي المعاصر» (al-Jada', 1988). ومن البديهي أن نقول بأن هناك عدة دراسات تناولت موضوعات تتعلق بأشعار يوسف العظم منها:

- "فلسطين في شعر يوسف العظم"، التأليف إبراهيم الكوفحي، عام ٢٠٠٠م.
 - "العنوان في شعر يوسف العظم؛ دراسة سيميائية، التأليف مصطفى حسن أحمد راضي، عام ٢٠١٢م.
 - "القدس في ديوان (في رحاب الأقصى) للشاعر يوسف العظم: دراسة تحليلية، التأليف ماجد محمد النعماني، عام ٢٠١٦م.
 - "جماليات التناظر النصي بين القصيدة الجاهلية والقصيدة الإسلامية في ديوان "لو أسلمت المعلقات"" للشاعر يوسف العظم، التأليف قويدر قيطون، عام ٢٠٢٢م.
 - "النصح والإرشاد في شعر يوسف العظم: دراسة وصفية تحليلية، التأليف مصطفى سعد المرغني سعد، عام ٢٠٢٢م،
- إلا أن هذه هناك فجوة بين هذه الدراسات السابقة والدراسة الحالية، حيث أن دراسة السابقة الأولى (٢٠٠٠م) والثالث (٢٠١٦م) تركزان على موضوع فلسطين - فحسب - في شعر يوسف العظم، أما الدراسة الحالية فتناولت

موضوعات متعددة ومتنوعة مثل العبادة والعقيدة. ثم الدراسة السابقة الثانية (٢٠١٢م) فكانت تركز على أشكال الشعر عند يوسف العظم، في حين الدراسة الحالية تركز على المضامين في شعر يوسف العظم. والدراسة السابقة الرابعة (٢٠٢٢م) تقوم بالمقارنة بين القصيدة الجاهلية والإسلامية التي قدّمها يوسف العظم في ديوانه "لو أسلمت المعلقات"، لكن الدراسة الحالية لم تقوم بأي مقارنة وأنها تركز فقط على تحليل الصور الإسلامية في دواوين يوسف العظم. أما الدراسة السابقة الخامسة (٢٠٢٢م) فهي تركز على موضوع النصح والإرشاد فقط، في حين الدراسة الحالية تناولت موضوعات أخرى من العقيدة والعبادة والقضية الأمة الإسلامية.

٢. منهج البحث

اعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي في كتابة هذه الدراسة، وذلك عن طريق قراءة عشر نصوص الأدبية عند يوسف العظم المختارة آنفاً قراءة تعميقية تفصيلية واعية، ثم تحليل المضامين في كل من هذه النصوص الأدبية تحليلاً وصفيًا تركزاً على إطار البعد الديني الإسلامي، دون أن يتعدى إلى بُعد آخر مثل موسيقى الشعر وأشكال الشعر ونحو ذلك. عشر النصوص الأدبية المقصودة هي:

- ديوان "أناشيد وأغاريد للجيل المسلم":

- نشيد "الوضوء"
- نشيد "الزكاة"
- نشيد "أمي؟"
- نشيد "الله ري"
- نشيد "الكعبة"

- ديوان "عرائس الضياء":

- شعر "نشيد للمجاهدين في أفغانستان"

- ديوان "في رحاب الأقصى"

- شعر "أنا للقدس"

■ شعر "حماة الأقصى"

■ شعر "يا قدس"

- ديوان "قناديل في عتمة الضحى".

■ شعر "هوية الأقصى لمن أضع هويته"

٣. الأدب الإسلامي وموضوعاته في عصر صدر الإسلام والمعاصر

الأدب الإسلامي كما ذكرنا هو الأدب الذي يتحدث عن قضايا الحياة والإنسان والكون في ضوء التصور والتوجه الإسلامي، وذلك على شكل إبداعي فني جذاب، وقد عرّف عدنان علي رضا النحوي الأدب الإسلامي بأنه: «ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث، حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعاً فنياً ينطلق على أسلوب التعبير باللغة، ممتداً في أغوار النفس الإنسانية، والحياة والكون، والدنيا والآخرة، مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدراً من الجمال الفني، ليشارك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية، وليساهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانية طاهرة، وحياة إنسانية نظيفة، وهو يخضع في ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل - قرآنًا وسنةً» (al-Nahwī, 1987).

وكما ذكرنا فإن موضوعات الأدب الإسلامي ليست مقصورةً على الأمور الدينية فقط، بل تشمل كل قضية من قضايا الحياة. ولهذا ذكر الكاتب معراج أحمد معراج الندوي بأن: «مجالات الأدب الإسلامي وموضوعاته تكاد لا تحصر، وللأديب المسلم أن يختار منها ما يشاء ولكنه مقيد بقيد واحد، وهو ألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الكون والحياة والإنسان، لأن التصور الإسلامي هو التصور الصحيح المنسجم مع فطرة الكون والإنسان، وكل تصور يصطدم به أو يعارضه فهو تصور منحرف خاطئ» (al-Nadwī, 2022). والأدب الإسلامي في عصر صدر الإسلام كما أكدته الكاتب علي أحمد علي يدور حول موضوعين:

أولاً: العقيدة والدعوة

فالشعر الإسلامي في هذه الفترة يهدف إلى نشر الدين الإسلامي، ويدعو إلى ترك عبادة الأصنام، ومن الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع في أشعارهم الحارث السعدي التميمي الذي أسلم وخرّب صنم قومه، ثم شداد بن عارض حيث دعا قومه لترك عبادة اللات (Ali, 2019).

ثانيًا: الجهاد والفتوحات الإسلامية

لا ننفي أن الشعر في هذا الموضوع كثير، ومن الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع في أشعارهم بشر بن ربيعة الخشعمي، وعمرو بن معد (Alī, 2019).

أما موضوعات الشعر الإسلامي المعاصر فهي تتمثل في (al-Maḥmūd, 2019):

أولًا: القضايا الاجتماعية

بشئ أنواعها، كقضية الفقر، والمرأة وحجابها، مثلما كتب الشاعر محمد بن عبد المطلب عن النقاب والحجاب الذي تلبسه النساء في مصر الذي في داخل الوقت لا يتفق مع الشريعة الإسلامية، إلى قضية الفساد الأخلاقي الذي يحدث في العصر الراهن، كتشبه الرجال بالنساء، مثلما كتب فيها الشاعر مصطفى صادق الرافعي، وقد تطور هذا الموضوع بتطور الزمن، وعالج الشعراء المسلمون المعاصرون بأشكال وصيغ وأساليب جديدة (Dāwud, 2005).

ثانيًا: القضايا الدينية

التي أصبحت موضوعًا لازمًا للشعراء المسلمين، بل «لا تجد شاعرًا إسلاميًا معاصرًا وقد كتب في هذا النوع من الشعر» (Dāwud, 2005)، فكثير منهم يتجه إلى شعر المناجاة مثلما كتب فيه الشاعر يوسف العظم في ديوانه: "في رحاب الأقصى" (Dāwud, 2005). أما في ساحة أرض ملايوية، فسنجد أن الروائي حبيب الرحمن الشيرازي قد ألف عددًا كبيرًا من الروايات التي يتجهن إلى الموضوعات الدينية، لكن عالج الروائي حبيب الرحمن الشيرازي عن طريق فني جذابي، مثلما في روايته المعنون "Ayat-Ayat Cinta" (عبرات الحب) التي تناولت موضوع الاختلاط بين الرجال والمرأة، ومكانة المرأة في الإسلام، وغير ذلك (Palewai, 2022).

ثالثًا: قضية الأراضي المحتلة

التي تمثلت في قضية فلسطينية، خاصة حادثة النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م، أما في ساحة أفغانستان، فقد كتب عدد من الشعراء المسلمين المعاصرين عن قضاياها، مثل الشاعر أحمد محمد الصديق، ومحمود مفلح ويوسف العظم (Dāwud, 2005).

رابعاً: الجهاد والانتفاضة والاستشهاد

لا شك بأن هذا الموضوع تناوله الشعراء بشكل شائع خاصة هؤلاء الشعراء في أرض فلسطين المحتلة، والشاعر يوسف العظم أحد الشعراء المسلمين الذين يغنون بروح المقاومة في عدد من قصائده، مثل: "حي على الجهاد" و"في سبيل الله والمستضعفين" و"نشيد الشهيد" (Dāwud, 2005).

خامساً: القضايا السياسية

التي تناولها عدد من الشعراء المسلمين مثل شوقي ضيف، وحافظ إبراهيم اللذان ذكرا أحد أهم الحوادث السياسية التي حصلت بمصر، وهي حادثة دنشواي، بل إن لكلا الشاعرين قصائد عديدة حول الأحداث السياسية التي مرت بها مصر في تلك الفترة. وكذلك الشاعر إسماعيل صبري، ومحمد بن عبد المطلب، وأحمد محرم كان لهم دور في تلوين موضوعات الأدب الإسلامي بالأحداث السياسية (Dāwud, 2005). وفي ساحة أرض فلسطين، نجد أن معظم أدبائها وشعرائها وروائييها التزموا إلى حد ما بسرد الأحداث السياسية التي شهدتها تلك الأرض المحتلة (Mohamad Zainol & Safian, 2022)، والشاعر يوسف العظم أحد شعراء الشام، ولهذا تحدث كثيراً عن فلسطين في قصائده، بل قد «توحد العواطف والشعور مع المسجد الأقصى، فما من قصيدة في شعره إلا وتجد صدى الأقصى يتجاوب بين أبياتها، كان ذلك التجاوب بالإشارة الصريحة أو بالإيماء الواضح، ولهذا كله أطلقوا عليه لقب: شاعر الأقصى» (al-Jada', 1988).

وبناء على ما قدّمنا من موضوعات الأدب الإسلامي اتضح لنا الفكرة بأن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يشتمل على كل بعد من أبعاد الحياة، وهو كما ذكرنا مراراً لا ينحصر على موضوعات ذات علاقة بالأمور الدنيوية فحسب، بل إنه يشمل جوانب شتى أيضاً.

٤. ترجمة موجزة لحياة الشاعر يوسف العظم

ولد الشاعر يوسف العظم عام ١٩٣١م في مدينة معان بالأردن، وحينما بلغ عمره الخامسة تقريباً أدخله والده كُتّاب البلدة، فدرس فيه القراءة وحفظ القرآن قبل انتقاله إلى المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية، إلا أن دراسته في هذه المرحلة لم تكتمل، وإنما أتمها في مدينة عمّان العاصمة بعد انتقاله إليها.

ثم بعد هذه الفترة رحل يوسف إلى مدينة بغداد ليدرس في كلية الشريعة، وبعدها ترك بغداد ورحل إلى القاهرة بمصر، والتحق بجامعة الأزهر، وتعلم اللغة العربية حتى نال الشهادة في سنة ١٩٥٣م، ثم التحق بمعهد المعلمين في جامعة عين شمس، ونال شهادته عام ١٩٥٤م، وأثناء مكوثه في القاهرة تأثر بالحركة العلمية والأدبية

والسياسية المنتعشة في مصر آنذاك، وهذا الذي شكّل جزءاً من شخصيته الأدبية والفكرية، ثم وطّد علاقته مع بعض قادة الأدب والفكر المصري ومنهم سيد قطب، بل إن لسيد قطب أثراً كبيراً عليه (al-Jada', 1988).

ثم ما بين عام ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م صار يوسف معلماً لمادة الثقافة الإسلامية والأدب العربي في الكلية العلمية الإسلامية بعمّان، أما في سنة ١٩٥٦م حتى ١٩٥٨م أصبح رئيساً لتحرير صحيفة الكفاح الإسلامي الصادرة في عمّان، ثم أسس مع مجموعة من المربين والمثقفين مدارس الأقصى في الأردن، وأصبح مديراً لها في ذلك الوقت (Katānah, 1987). وكل هذا المسار الذي سار عليه كان من أجل الإسلام، وسلاحه فيها موهبته الشعرية التي تتبع من التزامه بالتصور الإسلامي للحياة والإنسان والكون، بل إن لهذا التصور أثراً في قلبه حتى تيقن بأن الحل لجميع المشكلات هو الحل الإسلامي لا غير، وهذا التصور جعله يدرك بأن الجرثومة الفاسدة التي انتشرت في وسط المجتمع الإسلامي لا بد من انتزاعها حتى تعود الأمة الإسلامية إلى إيمانها وذاقتها وقدراتها الحقيقية (Katānah, 1987).

وبالنسبة للمؤلفات، فلاحظنا أن يوسف قام بتأليف الكثير من الكتب في شتى المجالات مثل الأدب، والتربية، والسياسة، والإعلام، وكذلك الشعر، والذي ظهر أن مؤلفاته تحمل طابعاً إسلامياً خالصاً، فمن كتبه: "أقاصيص للشباب"، و"يأيها الإنسان"، و"براعم الإسلام"، و"أدعية وآداب للجيل المسلم" وغير ذلك. أما دواوينه الشعرية فأحد عشر ديواناً، وهي: "أناشيد وأغاريد للجيل المسلم"، و"رباعيات من فلسطين" و"في رحاب الأقصى"، و"السلام الهزيل"، و"عرائس الضياء"، و"قناديل في عتمة الضحى"، و"الفتية الأبايل"، و"على خطا حسان"، و"قبل الرحيل"، و"لو أسلمت المعلقات"، و"ليلك: ابتهاجات شعرية" (al-Ibsū, 2020). وهذه الدواوين المتعددة تدل على أن مسيرة يوسف مرتبطة بالشعر، وأن شعره يدور حول شؤون الأمة الإسلامية، بل إن شعره ينغمس في هموم الإسلام، وخاصةً ما يتعلق بفلسطين، والمسجد الأقصى، وليوسف العظم أيضاً أثر شديد في مسار الأدب الإسلامي في الأردن (al-'Azam, 2008). أما وفاته فقد توفّي أثناء الصلاة، وذلك في يوم الأحد ٣٠ يوليو ٢٠٠٧م، بعد صراعٍ مع المرض استمر لعدة أشهر (al-Ibsū, 2020).

٥. الموضوعات الإسلامية في شعر يوسف العظم

كان يوسف العظم شاعراً ملتزماً بالمبادئ والتوجهات الإسلامية، ونرى هذا في كل أعماله الأدبية، وتناوله للتصور الإسلامي يظهر في موضوعات شتى، أغلبها ما يتعلق بأرض فلسطين والمسجد الأقصى، لهذا لُقّب بشاعر الأقصى، وسنحاول هنا تحليل بعض أبياته الشعرية في دواوينه المتعددة لإظهار تنوع الموضوعات التي تناولها في أدبه الإسلامي، ومدى التزامه بالرؤية الإسلامية في أعماله الفنية.

ففي ديوانه الموسوم بـ "أناشيد وأغاريد للجيل المسلم"، كتب يوسف العظم ٢٩ نشيداً مرتبطاً بالعقيدة والعبادة، والتراث، والحياة، ثم أهداه لكل مسلم يرغب في النشأة الإسلامية الخالصة، ولا غاية أخرى وراء كتابته هذا الديوان سوى رضوان الله، فأدخل في هذا الديوان أركان الإسلام الخمسة التي تتمثل في "الله ربي" و"الصلاة" و"الزكاة" و"الصوم" و"الحج" كما أدخل المناسبات الإسلامية من "ليلة القدر" و"الإسراء والمعراج" و"الهجرة" (al-Ibsū, 2020)، والموضوعات الأخرى المتعلقة بالمعارك الإسلامية، والوالدين، وغير ذلك. وفي نشيد "الوضوء" تحدث عن فضيلة الوضوء الذي به تشرق الوجوه كإشراقه الصباح (al-Aẓm, 2008: p. 377):

وصل لربك تكسب رضاه	بنيّ توضاً وقم للصلاة
ينال السعادة طول الحياة	إذا رضي الله عن مسلم
ففي طاعة الله سر النجاح	بنيّ توضاً وقم للفلاح
بدا مشرق الوجه مثل الصباح	إذا رضي الله عن مسلم
فماء الوضوء لوجهك نور	بنيّ توضاً بماء طهور
أتاه الهناء ونال السرور	إذا رضي الله عن مسلم

ويوسف العظم في دعوته إلى الوضوء فإنه حقيقة يدعو الناس لإقامة الصلاة، لأن الصلاة لا تصح إلا بالوضوء، فيدعو الناس بـ "بنيّ" توضاً، لأنه يضيء الوجه بالنور، ويدعو الناس إلى الصلاة لأنها تصلهم برهم، وبها يكسبون رضا الله. وفي نشيد آخر معنون بـ "الزكاة" تحدث يوسف العظم عن عبادة الزكاة، والبيت كما يلي (al-Aẓm, 2008: p. 386):

قمحاً ونقوداً وحريراً	ابذل من مالك مسروراً
وتجنبّ ويلاً وسعيراً	واحفظ مسكيناً وفقيراً
واطلب من خالقك الرحمة	
	
فزكاة المال بها تغنم	ابذل من مالك لا تندم
في يوم الحشر غداً تسلم	وارحم إخوانك كي تُرحم
من نار جهنم والنقمة	
	
واحفظ بزكاتك إنسانا	ابذل من مالك فرحانا
واطلب من ربك رضوانا	واقراً في بيتك قرآنا

واشكرُ مولاكَ على النعمة

يدعو يوسف العظم من خلال هذه الأبيات الناس إلى إعطاء الزكاة والذي لا ينحصر على النقود فقط فذكر نوعاً آخر من الزكاة كالحريير والقمح، ثم يشجع القراء على الزكاة حين قال بأنه يسلم الناس من النعمة في يوم الحشر، ويعددهم عن نار جهنم، وفي نفس الوقت يحثّ الناس بالإحسان على المساكين والفقراء والرحمة بهم بإعطائهم الزكاة. وفي البيتين الأخيرين يدعو القراء لقراءة القرآن، مع شكر نعمة الله عليهم. ثم في نشيد "أمي؟" كتب يوسف عن حنان أمه فقال (al-'Azam, 2008: p. 394):

في صدرها الحنانُ	في حِضْنِهَا الأمانُ
في كَفِّهَا الإحسانُ	في قلبها الإيمانُ
أمي .. رعاها الله!	
في حِضْنِهَا أناؤ	إن لَقْنِي الظلامُ
في كَفِّهَا السلامُ	أو مسْنِي السقامُ
أمي .. حماها الله!	
وَهَمْسُهَا شفاءُ	كلامها غناءُ
وَعَيْشُهَا وفاءُ	وَعَطْفُهَا دواءُ
طابتْ بها الحياة!	

صوّر لنا يوسف العظم من خلال هذا النشيد لطف أمه التي تحمل في داخلها الأمان والحنان والإيمان والإحسان، وبوجودها لن أخاف من الظلام، وهي تشفيني من المرض، وفي هذا النشيد أيضاً دعا الله كي يحمي ويرعى أمه. ثم هناك أيضاً نشيد سماه الشاعر "الله ربي"، وهو نشيد قصير من حيث طوله، ولكن عميق من حيث معناه، فتحدث الشاعر يوسف العظم في هذا النشيد عن أربعة مضامين أي عن ربه عز وجل، وعن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كذلك عن القرآن الذي هو مصدر الأول للتشريع، ثم عن عدوه وعدو كل مسلم أي الشيطان الرجيم (al-'Azam, 2003: p. 385):

فهو رحمنٌ رحيم	إن سألتكم عن إلهي
فهو إنسانٌ عظيم	أو سألتكم عن نبي

فهو قرآنٌ كريم
فهو شيطانٌ رحيم

أو سألتم عن كتابي
أو سألتم عن عدوي

وفي نشيد معنون "الكعبة"، صوّر لنا الشاعر قبلة الأمة الإسلامية، حيث أنه رآها درة لجميع أجرام الكون والدينا، كما وصّف الشاعر الكعبة بالضياء، ومجلبة للإيمان والنور والطهارة، فينفرد هذا المكان عن غيره، ولا يساوي أي مكان آخر من بقاع العالم، أرضها منيرة ومشرقة (al-'Az̄m, 2003: p. 385):

قبلتي الكعبةُ ما أبهى ضيائها
ملاً الإيمان والنور رُبّاهَا
وخليلُ الله قد أعلى بناها
في بلاد طهّر الله تراها
درة الأكوان والدينا أراها
ما لنا من كعبة يوما سواها

أما في ديوانه المسمى بـ "عرائس الضياء" ألّف يوسف العظم ٢٨ شعراً في موضوعات متنوعة منها التوبة وذلك في شعره "دموع التوبة". وفي هذا الشعر الطويل صوّر لنا الشاعر حاله وكأنه عبد مذنب، وأن ذنبه قد يكويه ويحترقه، فطلب من ربه تجديد تكوينه، وإضاءة فؤاده بالنور، وأن يغفر له، ومقطع الأبيات كما يلي (al-'Az̄m, 2008: p. 138):

أنت القديرُ على تجديد تكويني
صبايةً من هوى حسناء تُغرّيني
فالشوقُ يحرقني والذنبُ يكويني
بتوبةٍ لو زكّتُ حقاً تواسيني

يا ربّ يا مبدعَ الأكوانِ من عدمٍ
امنح فؤادي نوراً لا تبدّدُهُ
وجُدْ إلهي بالغفرانِ يغمرني
إليك أرفع قلباً نابضاً أسفاً

ذكر يوسف العظم بأنه يشناق إلى عفو ربه، ففي الأبيات السابقة قال إن لم يعف ربه عنه فمن يداوي فؤاده المريض المصاب بالذنوب والظلم والعصيان، وهذه الأبيات أيضاً تدل على مدى تشوق الشاعر إلى جود ورحمة ربه، فسأل ربه متى سيغفر له (al-'Az̄m, 2008: p. 138):

إن لم تمدَّ يداً بالبرء تُنقِذني
مما ألمَّ بنفسي أو أحاط بها
رباهُ جودُك جودٌ ليس يعدلُهُ
مما أصاب فؤادي من يُداويني؟
وظلمة النفس والعصيان تُغويني
جودٌ، إلهي متى بالعفو تجزيني؟

أما في شعر "نشيد للمجاهدين في أفغانستان" تحدث يوسف العظم عن المجاهدين في هذه البلاد، وذكر بأن الشعب الأفغاني شعب فقير لا يعرف الرفاهية، إلا أنه: «شعب رباه الدين وحركه التيار الإسلامي وقاده العلماء» (Jarār & al-Jada', 1988: pp. 78-79). وبهذه الصفات يتقدم الشعب الأفغاني نحو الجهاد، ويستعد للموت لإيمانه بأن الله أقوى من روسيا، بل أقوى من كل شيء (Jarār & al-Jada', 1988). وانطلاقاً من هذا المبدأ نظّم يوسف العظم شعراً خاصاً بهؤلاء الأبطال والمجاهدين الأفغان فقال (al-'Azm, 2008: p. 128):

في ذرى المجد رفعا العُلما
ندحر الطغيان لا نخشى الردى
نحن أفغانٌ ولكن مسلمون
ومضينا للمعالي قُدُما
ليكون الشعبُ حرّاً مسلماً

ذكر يوسف العظم بأن الشعب الأفغاني المسلم لا يخاف الموت والهلاك، فيمشي نحو المعالي والنصر لأجل حريته، ثم قال (al-'Azm, 2008: p. 128):

قد حملنا في الصدور المصحفا
نصرع الباغي ولا نرهبُهُ
إن حزب الله دوماً غالبون
ومضينا في ركاب المصطفى
وبسيف الله نُخزي المرجفا

في هذه الأبيات بيّن لنا حالة الشعب الأفغاني البطل الذي يحمل القرآن في صدره، ويمشي على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لن يتعاون مع الظالمين أبداً، بل يصرعهم، وبسيف الله يتمسك لإيمانه الثابت بأن الله سينصر من ينصر دينه، ثم قال في الأبيات التي تليها بأن المجاهدين الأفغان جنود الله، وأنهم لا يهانون، ولا يحتقرون، ويستصغرون (al-'Azm, 2008: p. 128):

في سبيل الله رايات الجهاد
وحطّمتنا القيد لا نرضى به
قد رفعناها لتحرير البلاد
ونحضنا بعد نومٍ ورُقَادٍ
نحن جند الله نأبي أن نحون

أظهر لنا يوسف العظم من خلال هذه الأبيات مدى ثبات المجاهدين الأفغان لتحرير بلادهم، وأنهم سيهلكون السلطة التي تحتل بلادهم، ومهما طال النوم والغفلة، إلا أنهم سينهضون من جديد، ويقاومون ويقاتلون ولن يستسلموا أبداً.

ثم في الديوان الآخر المسمى بـ "في رحاب الأقصى" والذي يحتوي على أكثر من ٨٠ شعراً ونشيداً، تحدث يوسف العظم كثيراً عن فلسطين والأقصى، فذكر بأن الأقصى ليس مجرد بقعة من الأرض فيه مسجد نصلي فيه، وإنما هو مركز لعقيدة كل من يؤمن بما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ومن هذا المبدأ جاء حب الأقصى والتعلق به لكونه رمز الهداية بعد الضلال، ورمز النصر وغلبة الأمة الإسلامية، ولكونه الأرض المباركة، وقدسية الطهر (al-'Az̤m, 2008). ففي شعره الطويل بعنوان: "يا قدس" صوّر لنا حالة القدس التي ينزل بها عيسى عليه السلام، والذي هو مسرى نبينا محمد ﷺ، فقال (al-'Az̤m, 2008: pp. 15-16):

يا قدس يا محراب يا مسجد
سفوحك الخضر ربوع المنى
يا درة الأكوان يا فرقُد
وتربك الياقوت والعسجد
كم رُتلت في أفقها آية...!
أقدام عيسى باركت أرضها
وفي سماها قد سرى أحمدُ

في هذه الأبيات، شبه يوسف العظم أرض القدس بالياقوت والعسجد دليلاً على مدى ضياء وقيمة هذه الأرض القدسية الخضراء، ففيها قرئ آية القرآن العظيمة، وفيها مرشد يدفع الناس نحو الهدى. ثم قال في بعض الأبيات التي تليها بأن الآية من الإنجيل والقرآن وسورة الإسراء لا ترتل إلا وقد صدقها الناس بأنها هذه أرض القدس المباركة كما قال تعالى في سورة الإسراء، الآية ١: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والأبيات كما يلي (al-'Az̤m, 2008: pp. 16-7):

الوحي والتنزيل والأحرف
وسورة الإسراء ما رُتلت
والآي والإنجيل والمصحف
إلا وأسماء الدنيا تُرهفُ

تبارك القدس وما حولها
في كل صدر من دمي دفقة
إن ضَمَدَ الآسي جراح الورى
وصخرة القدس بنا تَهْتَفُ!
وكل عين دمعة تُدْرِفُ
فالجرح منى راعف ينزِفُ

أما في شعر "أنا للقدس" فأكد الشاعر يوسف العظم بأنه وحياته من أجل القدس، ومهما طال احتلالها إلا أن جنودها مستمرين في طريق الجهاد والمقاومة، وأنهم مهما تحداهم الكفار والأعداء، إلا أن راية التوحيد تجمعهم، وتدفعهم نحو العلا والنصر، والأبيات كما يلي (al-'Azm, 2008: p. 34):

أنا للقدس خافقي ووريدي
وعلى القدس قد قصرْتُ حديثي
في رُباها لله سارت جنودٌ
وحديثُ الإسراء في كل وادٍ
يتحدّى الكفر الصُّراح ويعلَى
وحياتي ومهجتي ووجودي
وقوافي شعري وبيت قصيدي
تستحث الخطأ بعزم شديد
وعلى كل ربوة وصعيد
في ذرى القدس راية التوحيد

ثم سجل يوسف العظم صورة الجهاد في نشيده المسمى بـ "حماة الأقصى" حيث قال (al-'Azm, 2008: p. 90):

نحن أحفاد القلم
وإذا الباغي ظلم
ولئن طال دجانا
فاشهدى يا أرض واصغى يا سماء
نحن أبناء الرماح
نحن عنوان الكفاح
سوف يتلوه الصباح
ومضينا في ركاب الأنبياء
أنا لا نبتغي غير البناء

بيّن لنا يوسف العظم مدى ثبات وعظمة الجهاد عند المجاهدين الفلسطينيين، وأنهم يسلكون طريق الجهاد والكفاح والعزة منذ زمن طويل، فمهما طال الانتظار إلا أنهم لن يستسلموا ويتوقفوا عن طريق الجهاد لأنهم يؤمنون بأن النصر آت لا محالة. إضافة إلى ذلك، وجدنا أيضا الأبيات الشعرية عن الأقصى في قصيدته المعنونة بـ "هوية الأقصى لمن أضع هويته" والموجودة في ديوانه الآخر بعنوان "قناديل في عتمة الضحى" حيث تحدث يوسف العظم عن هوية الأقصى، وهي الأرض المباركة، أرض الجهاد والمقاومة، كما أثبت خلال كلماته الشعرية بأن الأقصى قضية

عقيدة، سار في طريقها نبينا المصطفى ﷺ والمجاهدون من السلف، كعمر، وصلاح الدين الأيوبي، ولأن الأقصى جزء من العقيدة أمر بالافتداء بهما، والأبيات الشعرية كما يلي (al-'Azam, 2008: p. 158):

إنما الأقصى عقيدة ووسام وقصيدة
وهو صرْحُ أبت العليا إلا أن تشيده
بارك الله حواليه بآيات مجيدة
وهو أرض النور فيه المصطفى أرسى سجوده
وهو رمز للمعالي زَيْن التاريخ جیده
عمر يطرق أبواب العلى يرعى جنوده
وحسام من صلاح الدين يفتح قيوده
فارس الحلبة يعلى في حماة الله بنوده
إنما الأقصى عقيدة فافتدوا تلك العقيدة

ثم في نهاية الأبيات ذكر لنا الشاعر أنه يتمنى أن يكون شهيد الأقصى نظرًا لأن الأقصى جزء لا يتجزأ من العقيدة (al-'Azam, 2008: p. 158):

إنما الأقصى عقيدة ليتني كنت شهيدَه!

وبناءً على ما قدمناه من تحليل لبعض الأبيات الشعرية عند يوسف العظم في بعض دواوينه، لاحظنا أن الموضوعات التي تناولها لا تقتصر على موضوع واحد فقط وإنما استعرض موضوعات متنوعة ومتعددة تتضمن العقيدة، والأخلاق، وقضية الأمة الإسلامية، والسياسة، وغير ذلك. ولأن شاعرنا يوسف العظم مهتم بقضية الأمة الإسلامية خاصة تلك التي شاهدها أرض محتلة فلسطين، فإننا نستطيع أن نرى بأن القضية الفلسطينية تحتل مكانها الخاصة في أعماله الأدبية، فنادى جميع الشباب لكي يثبتوا ويصمدوا في طريق الجهاد من أجل فلسطين، ولكي لا يستسلموا أبدًا في استعادة حرية القدس. وبهذا أيضًا نستطيع أن نقول بأن يوسف العظم يكثر في الموضوعات التي تتعلق بأرض فلسطين والمسجد الأقصى، ومن أجل هذا لُقب شاعرنا يوسف العظم بـ"شاعر الأقصى"، بل ذكر الكاتب أحمد الجدع بأنه قد: «توحد العواطف والشعور مع المسجد الأقصى، فما من قصيدة في شعره إلا وتجد

صدى الأقصى يتجاوب بين أبياتها، كان ذلك التجاوب بالإشارة الصريحة أو بالإيماء الواضح، ولهذا كله أطلقوا عليه لقب: شاعر الأقصى» (al-Jada', 1988).

أما من الناحية اللغوية والبلاغية فيجدر الذكر بأن شاعرنا يوسف العظم كان يستخدم الصورة الفنية البلاغية في بعض من أبياته الشعرية مثلما في شعره "دموع التوبة"، واللغة التي يستخدمها الشاعر متعدد المستوى، أي بعض الجمل تحمل معنى المباشر فسهل القراء في فهمها مثلما في شعره "الله ربي"، كما هناك بعض الجمل الصعبة التي يحتاج القراء إلى التأمل والتركيز أكثر حتى يستطيع أن يفهم الأبيات بكاملها مثلما في شعره "يا القدس". على أي حال كله، فإن الأشعار التي نظمها الشاعر يوسف العظم تحمل معنى عميقاً تناول فيها قضايا متعددة من قضايا الحياة، خاصة قضايا الأمة الإسلامية ومنها القضية الفلسطينية.

٦. الخلاصة

الأدب الإسلامي لا يقتصر على الحديث في أمور الدين فقط بل هو أوسع وأشمل من ذلك كله، لكونه يتعرض لجوانب الإنسان، والحياة، والكون أيضاً، ولهذا نرى أنه تناول تارة قضية اجتماعية، وتارة أخرى قضية دينية، كذلك قضية سياسية، وهذا يدل على تنوع موضوعات الأدب الإسلامي، ويوسف العظم أحد الشعراء المسلمين الملتزمين بالمبادئ الإسلامية عند كتابته للقصائد والأناشيد والأشعار التي تناولت موضوعات متنوعة في أعماله الأدبية. ومن الموضوعات التي ظهرت في أعماله الفنية موضوع العقيدة، والعبادة، والأخلاق، وقضايا الأمة الإسلامية، ولعل أبرز ما تناوله قضية فلسطين والأقصى حتى لقب بـ"شاعر الأقصى".

٧. شكر وتقدير

تم تمويل هذا البحث من قبل Realmz Consultant PTY من خلال المشروع المسجل في نظام إدارة البحوث لمركز إدارة البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا (SPI22-151-0151).

REFERENCES

- 'Alī, A. A. (2019). *Nazariyah al-adab al-Islāmī al-ḥādīth fī muwājahah al-madhāhib al-adabiyah al-gharbiyah: Dirāsah adabiyah naqdiyah* (Risālah li Nayl Darajah Duktūrah al-Falsafah fī al-Lughah wa al-'Arabiyyah), Jāmi'ah al-Jazīrah.
- al-'Aẓm, Y. (2003). *al-A'māl al-shi'riyyah al-kāmilah Yūsuf al-'Aẓm*. Amman, Jordan: Dār al-Ḍiyā' li al-Nashr wa al-Tawzī'.
- al-'Aẓm, Y. (2008). *al-A'māl al-shi'riyyah al-kāmilah Yūsuf al-'Aẓm*. Amman, Jordan: Dār al-Ḍiyā' li al-Nashr wa al-Tawzī'.

- al-'Ibsū, U. (2020). *Yūsuf al-'Az̄m: Shā'ir al-Aqṣā*. Retrieved from <https://www.odabasham.net/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D9%85/117547-%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B8%D9%85-%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89>.
- Barakāt, I. M. F. (2007). *al-Shi'ir al-Islāmī 'inda Muḥammad al-Tuhāmy al-ru'yah wa al-adāh: Dirāsah taḥlīliyyah naqdiyyah* (Unpublished Master Thesis), International Islamic University Malaysia.
- Dāwud, M. (2005). *Al-Itijāh al-Islāmī fī al-shi'ir al-mu'āṣir ba'da nakbah huzayrān 'inda duwal al-muwājahah "Miṣr, Filasṭīn, al-Urdun, Sūriyah,"* (Baḥth Takmilī li Nayl Darajah Mājistir al-'Ulūm al-Insāniyyah fī al-Lughah al-'Arabiyyah wa Ādabihā), IIUM, Malaysia.
- al-Hāshimī, M. A. (1987). *Fī al-adab al-Islāmī: Tajārub wa mawqif*. Beirut: Dār al-Manārah.
- al-Jada', A. (1988). *Yūsuf al-'Az̄m: Shā'ir al-Aqṣā*. Amman, Jordan: Dār al-Ḍiyā' li al-Nashr wa al-Tawzī'.
- al-Jada', A. A. L & Jarār, H. A. (1983). *Shu'arā' al-da'wah al-Islāmiyyah fi al-'asr al-ḥādith*. Beirut: Mu'assasah al-Risālah.
- Jarār, H. A & al-Jada', A. (1988). *Anāshid al-da'wah al-Islāmiyyah*. al-Manṣūrah, Egypt: Dār al-Wafā' li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzī'.
- Katānah, Z. A. S. H. (1987). *Yūsuf al-'Az̄m: Shā'ir al-Quds*. Amman, Jordan: Dār al-Bashīr li al-Nashr wa al-Tawzī'.
- al-Maḥmūd, A. K. (2019). Qaḍāyā siyāsah fi shi'r al-Islāmī al-mu'āṣir. *Journal of the College of Jurisprudence*, 1(30), 365-386. Retrieved from <https://journal.uokufa.edu.iq/index.php/fqhj/article/view/8434>.
- Mohamad Zainol, N. F. & Safian, N. S. (2022). Prison literature and Palestinian cause in the poem of samar fi al-sijn by Tawfiq Ziyad. *International Journal of West Asian Studies*, 14, 11-25. Retrieved from <https://ejournal.ukm.my/ijwas/article/view/59564>.
- al-Nadwī, M. A. M. (2022). *al-Adab al-Islāmī: Ru'yah naqdiyyah*. Retrieved from <https://naqeebulhind.hdc.in/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%A9>.
- al-Naḥwī, A. A. R. (1987). *al-Adāb al-Islāmī: Insāniyyatuhu wa 'ālamīyyatuhu*. Riyadh, KSA: Dār al-Naḥwī li al-Nashr wa al-Tawzī'.
- Palewai, M. S. (2022). Messages of da'wah for non-Muslims in the novel Ayat-Ayat Cinta. *Al-Irsyad: Journal of Islamic and Contemporary Issues*, 7(1), 757-766. <https://doi.org/10.53840/alirsyad.v7i1.233>.
- al-Qaysī, N.H. (1984). *Shu'arā' Islāmiyyun*. Beirut: Maktabah al-Nahdah al-'Ārabiyyah.
- Qutb, M. (1983). *Manhaj al-Fann al-Islāmī*. Beirut: Dār al-Shurūq.

الملاحظة

الآراء المعرب عنها في هذه المقالة هي تماما من آراء المؤلف وهي لا تكون لمجلة الإرشاد مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو أي مسؤولية أخرى ناجمة من محتويات لهذه المقالة.

Disclaimer

The views expressed in this article are those of the author. *Al-Irsyad: Journal of Islamic and Contemporary Issues* shall not be liable for any loss, damage or other liability caused by / arising from the use of the contents of this article.

